

عن البعض ولا يكون عالما بالبعض فليس من شرط المجتهد ان يكون مجيبا عن كل ما يسأل عنه ولذلك توقف كثير من الائمة في الجواب عن بعض المسائل فلا يجوز لاحد ان يفتي في مسألة من المسائل الا اذا كان محيطا بأدلتها وما لا فيمسك عن الفيا فيها ولا يفتي بعد هذه الحالة الا تحصيل الادلة الجزئية في آحاد المسائل من نصوص او اقيسة فاذا اطلع على دليل مسألة كان من أهل الفيا في تلك المسألة ولا يضر كونه غير مطلع على دليل المسألة الاخرى

( ثم قال ) واعلم ان الاجتهاد عبارة عن بذل الجهد في طلب حكم من الاحكام الشرعية مما هو عارف سلوك طرقها وله شروط وهي قسيان قسم في المنظور فيه وقسم في الناظر ، أما المنظور فيه فيشترط فيه أن لا يكون في محل القطع فان مجال القطع لا مجال للاجتهاد فيها كأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما يحكم فيه بأدلة قطعية لا يسوغ خلافها ، وأما الناظر فيشترط فيه أمران احدهما ان يكون عارفا بقوانين الادلة وشروطها وكيفية استخراجها ، والثاني أن يكون متكنا من استخراج الدليل خاصة في المسألة التي يجتهد فيها ، ثم اطال الكلام في ذلك . اهـ

## اللغة العربية \* )

﴿ من هم الاصليون في الجزيرة العربية ﴾

( القحطانيون <sup>(١)</sup> أم العاديون <sup>(٢)</sup> )

هذه المسألة على ما ينجل لي من المسائل الصعبة التي لم تصد لها أحد بعد في أعلم ايزج عنها الحفاء أو ليقطع فيها الاتباس وكأني بالشام المتعارف ان العادين والمالفة

(٥) تابع لما نشر في الجزء السابق وهو خطاب للاستاذ جبر افندي ضومط

(١) أعني بالقحطانيين هذا الفرع الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحيرية التي خلفتها

(٢) وأعني بالعادين الذين كانوا يتكلمون بالعربية تسمية بأشهر قبائلهم جاد

وغيرهن من القبائل العادية هم الاصليون وان القحطانيين تطلبوا عليهم وحلوا محلهم فاقترض هؤلاء وبقي أولئك . والذي أراه ان القحطانيين هم قرارة سكان العربية والاصليون في اليمن وجباله وما يليها من المواطن كحضر موت ونجد وأرض البحرين وجنوبي الحجاز مما يتصل باليمن . وان الماديين جاءوا اليها متأخرين ومع الايام وبالاستيلاء على طريق التجارة تهووا شيئاً فشيئاً الى أن دانت لهم العربية كلها واخضروا القحطانية لسلطتهم واستمروا على ذلك زماناً الى أن أصابت احدي دولهم جائحة سارية في الراجح فذلوا وقامت القحطانية نطلب الملك والاستيلاء ورفع سلطة الماديين عنها فم لها ذلك . وما زال النزاع بين الفريقين يتجدد من زمن الى زمن الى أن قام الفرع الحميري الظفاري فنقلب على البلاد واشتدت وطأته على أهل مأرب فارتحلوا في البلاد فمنهم من قصد نجران ومنهم من أمّ عمان ومنهم من استمرت به رحلته حتى بلغ العراق وهم لحم وغان . وأذلوا من بقي في البلاد من الماديين وأشياهم من المدائنين في الحجاز ونجد واليمامة وأرض البحرين ذلاً شديداً فاشتدت بسبب ذلك البغضاء بين القحطانيين والمدائنين حتى ضرب بها المثل واستمر ذلك فيهم الى أن ظهر الاسلام فأخذ ظهوره شيئاً من تلك الثائرة بما كان له من التأثير في قوسهم وبما شغلهم به من المغازي والفتوحات وامتداد السلطة والغلب . على ان تلك العداوة لم تلبث ان عادت الى شدتها في أيام الروانيين من بني أمية وانتقلت مع القوم حيث اتقلوا . وبلغ من حدتها في الحليل الرابع للمجرة المبالغ الذي وصفه أبو العليب المنبجي في احدي كافورياته حيث يقول في شيب الخارجي وكان خرج فيمن تبعه من قيس على كافور وحاصر دمشق وكاد يفتحها عنوة

برغم شيب فارق السيف كفه وكانا على الملأ يصطحبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني

والذي يظهر لي أيضا ان المدائنين الذين بقيت فيهم اللغة العربية كانوا من الماديين ( الا من انضم اليهم بأخرة من ولد اسماعيل بن ابراهيم الحليل ) ولذلك أذلهم القحطانية وناصبتهم العدا من حين ظهرت على الماديين أسلافهم في أوائل المسيحية ولم تأل جهداً عن اذلالهم والتحكم فيهم الى أن عادت لهم الدولة بواسطة قريش وبفضل الاسلام

فان لم يكونوا أي المدائنين من الماديين والمخالفة في النسب فلا أقل من أنهم كانوا حلفاءهم يتقلون لهم تجارتهم ويقوا على ذلك أحياناً متطاوله جعلت لسانهم

وعصيتهم مع لسان العاديين وعصيتهم أمرا واحدا . أقول هذا وأنا أرجح ما قلته  
أولا أي أن العدنانيين (معظمهم إن لم يكن كلهم) عاديون (١) داراً ولساناً . واقامة  
الدليل على ذلك خارج عن موضوعي ولعلي أعود اليه في فرصة أخرى

﴿ بيان أن القحطانية أصلية في شبه جزيرة العرب ﴾

( وأن قرارة دارهم اليمن )

قلت ان المسألة صعبة الحل لما في الاخبار المنقولة لنا من التشويش والتضارب  
وكان يمكنني أن أضرب عنها صفحاً إلا أني لا أرى هيئة من أهل العلم والادب أرقى  
من الهيئة التي أمامي الآن تستطيع أن تتبعني في هذه المزالق التاريخية ولذلك لا أرى  
بدأً من الاشارة الى البراهين التي حملتني على ترجيح ما قلت أي ان القحطانيين هم  
أصليون في جزيرة العرب وقراراتهم منها اليمن وهم سابقون فيها على العاديين . ويانه  
(أولاً) أنه لاخلاف أصلاً بين العدنانيين والقحطانيين لافي تاريخ ولا في تقليد  
أن القحطانية هي الطريقة بسكنى اليمن وانها هي التي بقيت في البلاد بعد اقراض الدولة  
العادية . وقد أجمع المؤرخون عن آخرهم على تسمية العاديين بالمراب البائدة بعد  
ما نقلوا عنهم ما نقلوه من الفنى والقوة وضخامة الملك . ولو كانوا عربين في البلاد  
كالقحطانيين ولهم مثل ما لهم من العدد والتأصل في السكنى لكان يستحيل اقراضهم  
حتى لا يبقى من يشار اليه منهم فالاقرب الى المقول إذن ان المعنى باقراضهم اقراض  
دولتهم . ولما اقترضت دولتهم وزالت السلطة من أيديهم ظهر بمدتهم بالضرورة  
سكان البلاد الذين كانوا خضعوا لدولتهم وظهورهم مضاه خروجهم من ربة العاديين  
واسترداد استقلالهم أولاً ثم منازعة العاديين الغلبة والملك في ديارهم التي نزلوها الى ان  
تم لهم ذلك وذهبوا بالملك والسيادة من أيديهم جملةً . وهذا معنى اقراضهم

(ثانياً) كانت عاد في هذا الرمل من الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت  
فكيف يعقل أنهم اقترضوا ولقتهم باقية في هذه البلاد لحد هذه الساعة . ثم كيف

(١) من أكبر الفروع العدنانية قيس عيلان . وقيل في عيلان هذا انه عبد لقيس وقيل فرس  
له ولكنني أرجح ان عيلان تحريف عيلام . وعيلام بلاد شرقي راس خليج فارس وهي خوزستان  
او قسم من خوزستان . وخوزستان تركيب فارسي يعنى به بلاد خوز . وخوز وكوش احدهما محرف  
عن الآخر . وكوش وقيس كذلك في الاربع . وعليه فقيس عيلان تعنى به كوش عيلام اي  
اصطفوا الى المسكان الذي جاؤا منه وهو ليس بميد

يفرض أهل اللثة وتبقى اللثة نفسها ؟ ان هذا لقريب واغرب منه ان يكون العاديون الذين اقرضوا هم أهل البلاد الاصيليون والذين قرضوهم من القحطانيين دخلوا عليهم البلاد قادمين ولهم لغة خاصة بهم ثم بعد ان استمر ملكهم ولقبتهم مئات سنين عدداً فرأينا في آخرها ان لغة البلاد حينئذ كانت لغة العاديين الذين اقرضوا لا القحطانيين الذين قرؤا

( ثالثاً ) يكاد يكون كالمجمع عليه ان اليمن دار القحطانية واليك ما نقل في ذلك . قال الامام العلامة الطبري : وولد لباربانان احدهما قانع ومعناه العربية قاسم واناسمي بذلك لان الارض قسمت والالسن تابلت في أيامه وسمي الآخر قحطان فولد قحطان يرب ويقطان ابنا قحطان بن عامر بن شالح قزلا أرض اليمن وكان قحطان أول من ملك اليمن ( جزء أول طبع ليسك وجه ٢١٧ ) وقال ايضا وجه ٢٢٧ ولحقت بنو قحطان ابن عامر باليمن فسميت اليمن حيث تباينوا اليها

وقال ابن خلدون : قاما طادفكانت مواطنهم الاولى باحفاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت . ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب بادية مخيبيين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبها نذكره الى ان غلب عليهم بنو يرب بن قحطان . ( تال ) وكان ابوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده . وعاش الف سنة ومثي سنة - وذكر المسعودي ان الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والمراق ( الجزء الثاني طبعة بولاق وجه ١٩ ) . وقال ايضا وجه ٢٠ ثم ملك لقمان ورحطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال الف سنة او يزيد . ولم يزل ملكهم متصلا الى ان غلبهم عليه يرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان اقرضوا وقال ايضا ( قال ابن سويد ) فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزنة السكتب بدار الخلافة من بغداد قال كانت مواطن العماقة هامة من ارض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق امام الهاردة من بني حام وجه ٢٧ وقال ايضا ( جرحم ) فقال ابن سويد انهم امتان امة على عهد عاد وامة من ولد جرحم ابن قحطان ولما ملك يرب بن قحطان اليمن ملك اخوه جرحم الحجاز - وجه ٣١ وظاهر من هذه القول وغيرها ان القحطانيين اصليون في الجزيرة وقرادتهم منها اليمن واما العاديون واخوانهم العماقة فجاءوا على اثر مضايقة الملوك الهاردة لهم . فنزل العاديون احفاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر وزل بقية

اخواتهم من العمالة وطسم وجديس وجاسم ارض البحرين وعمان ونجد والحجاز الى تيماء . ولم يلبثوا مدة بعد دخولهم حتى صار لهم القالب على كل الجزيرة وشادوا لهم دولة من اعظم واغوى الدول التي قامت في تلك البلاد ومن ثم غزوا (١) الشام ومصر والهند والعراق وما زال الملك فيهم الى ان ضعفوا في اواخر دولتهم الثانية فنلبسهم على الملك يعرب بن تيمطان وازال سلطتهم عن اليمن

### ﴿ نتيجة ما ذكرناه ﴾

ان التدبير ما صرنا « ان مهد السامية هو جزيرة العرب وأن الفصحائين هم الاصليون في البلاد وقراوتهم اليمن وان العاديين قدموا عليهم من ارض بابل » يحكم على ما ارجح ان الفصحائية الاولى انشعبت الى فرعين فرع بقي في شبه جزيرة العرب وفرع ذهب شمالا الى العراق واستمر بابل وهناك تأهل هذا الفرع وما زال اهله حتى زاحمهم الهاردة ابناه كوش (٢) فخرج من هناك اشور وبني ينوى ورحوبوت غير وكالخ وراسن بين ينوى وكالخ على ما جاء في التاريخ المقدس الاصحاح العاشر من سفر التكوين . وخرج ايضا عاد وعمايق وقبائلهما فعادوا الى العربية بعد زمن طويل ونزلوا بين اظهر الفصحائين وكان قد تحيز اسانهم واستقل كما تحيزت قبائلهم واستقلت عن غيرها ايضا

والا ورجح ان الذين رحلوا الى ينوى وكالخ كانوا من الحضرة اهل المدن والقرى بدليل انهم بنوا المدن حالا واما الذين رحلوا الى الجنوب فكان اكثرهم اهل ظمن وخيام . وعجاجة العلامة ابن خلدون واضحة في ذلك فانه ذكر انهم لما زاحمهم بنو حام اتقلوا الى جزيرة العرب وسكنوها بادية مخيبي . ويقوي ذلك ما هو متواتر مشهور من سكنى الصاديين رمال الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت والفجر . وسكنى بديل وراجل وغفار من الصائفة بنجد وبنو الارقم منهم بالحجاز الى تيماء . وكل هذه البلاد من منازل اهل البادية والقالب على اكثر اهلها الترحل والانتقال كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة

(١) لا يبعد ان يكون غزوهم الهند غزوا تجاوة ومهاجرة اكثر منه غزوا نهر وطلب  
(٢) كانت البلاد تسمى باسم الشخص او الشخص يسمى باسم البلاد وعليه فكوش هذا  
اما تسمى باسم البلاد كوش أو البلاد تسمى به فيكون اصل الهاردة من كوش أو خوز وتعرف اليوم بالاهولز أو خوزستان وهي بلاد عيلام القديمة أيضاً

وأرى اني وصلت على غير قصد مني الى التقليد المشهور الذي يجعل السريانية اقدم من العربية لاقتا رأينا الدليل التاريخي في جانب ان القحطانية متقدمة على العادية وسابقتها في الزمان . والقحطانية كما ينص من نص المؤرخين هي السريانية كما ان العادية هي العربية

### ﴿ تجريح مقاله العلامة نولدكي ﴾

نرجع الآن الى ما قاله العلامة نولدكي في شأن لغة سبأ . قال هذا العلامة ما يؤخذ منه أن اللغة السبئية هي قسيمة اللغة العربية وأخت لها انشبتا من الفرع الجنوبي ونسبتها الى العربية كنسبة الحبشية اليها أي الى العربية . وأنا أقول ان كان يقصد بالسبئية الحميرية فبه لکن تكون السبئية والحبشية شميتين من القحطانية أو السريانية لان القحطانية والسريانية كما ينص بالنص التاريخي هما لغة واحدة أو هما شميتان من جذم واحد هو القحطانية القديمة . وان كان يريد أن السبئية هي لغة أخرى غير الحميرية الظفارية أي لغة الدولة التي قامت قبل التاريخ المسيحي بقليل وتعرف عند القوم الآن بدولة سبأ وريدان وانها كانت أيضا لغة بلاد سبأ التي طاصتها مأرب وفيها السد المشهور فالاستاذ نولدكي واهم والتاريخ يعارض رأيه لان لغة أهل هذه البلاد أعني أرض سبأ (١) كانت منذ أوائل التاريخ المسيحي ولا تزال الى الآن اللغة العربية العادية العدنانية والتاريخ مؤيد ذلك واليك البيان .

جاء في كتاب وصف جزيرة العرب للعلامة الهمداني طبع ليدن وجه ١٣٤ الى ١٣٦ قطعة خصها هذا العلامة بوصف لغات أهل الجزيرة العربية في أيامه « فليطالع هذه القطعة في موضعها من أراد » والذي يظهر منها ان الحميرية كانت لا تزال لغة حية في كثير من جبال اليمن واليك ما يقول في لغة بعض تلك البلاد « حقل قناب قلى ذمار » الحميرية القححة المتقدمة ( وطفار مدينة هذا القسم ) . حراز والا خروج وشم وماضع والأحجوب والجحادب وشرف أقيان والطرف وواضع والمطل - خليطي من متوسط بين الفصاحة والاسكنة وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتقدمة لاسيا الحضورية من هذه القبائل - نجدتي بدرهمدان البون منه المشرق والخشب - عربي يخلط حميرية - من ذمار الى صنعاء متوسط - صنعاء في أهلها بقايا من

(١) أرض سبأ على ما يظهر من الهمداني هي بلاد عاد لانها العلاء التي يشرع عليها ييجان ومأرب والجوف ونجران والهجرة همداني وجه ٢٧ وصف جزيرة العرب

العربية المحضة ونبت من كلام حمير - شام أقيان والصانع وتخلي حميرية محضة والنفس في هذه القطعة لهذا العلامة انه فرق بين الحميرية والعربية . وسمى البلدان التي كان يُتكلم فيها بالعربية أو بالحميرية الى أيامه . وأنفس منه انه بين الفرق بين لغات المتكلمين بالعربية فقال في بعضهم أنهم فصحاء وفي آخرين أنهم أفصح وفي آخرين ان لغتهم متوسطة أو خليطي كما بين الفرق في لغات المتكلمين بالحميرية فقال عن بعضهم أنهم غم وعن آخرين ان لغتهم حميرية محضة وعن آخرين انها حميرية متعقدة وعن آخرين انها داخلة في الحميرية المتعقدة أو فيها عسرة من اللسان الحميري ثم اليك ماقاله في لغات أهل حضرموت وسبأ قال ما نصه بالحرف الواحد :  
حضرموت ليسوا بفصحاء وأنصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف . سر ومذحج (١)  
ومأرب ويحان وحريب (وهي من بلاد سبأ) فصحاء ورديء اللغة منهم قليل .  
سكن الجوف (٢) فصحاء الا من خلطهم من حيرة لهم تهامين . ثم الفصاحة من العرض في وادعة جنب قيام فزيد فبني الحارث ثنا اتصل بيد شاكر من نجران الى يام فارض سنعان فارض نهد . اه همداني وجه ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

يظهر من شهادة هذا العلامة ان أهل مأرب والجوف ونجران وهي البلاد التي كانت فيها الدولتان السبئية والمهنية كانوا في أيامه أفصح من السكنديين قبيلة امرؤ القيس وقبيلة المنبي أشهر شاعرين قبل الاسلام وبعده . وكذلك كانوا في صدر الاسلام . فان مذحج وبني مرة وطبي والاشعريين أبناء عريب بن زيد ابن كهلان بن سبا والهمدانيين أبناء مالك بن زيد بن كهلان بن سبا كلهم كانوا من فصحاء أهل العربية العدنانية المضرية في صدر الاسلام وقبله ومع أنهم كانوا يدعون أنهم هم والحميريين أبناء عم « لان كهلان بن سبا وحمير بن سبا » لم يكن في لسانهم شيء من الحميرية بل كانوا في فصاحتهم العربية كفصاحة قبيلة امرؤ القيس المشهور ان لم يكونوا أفصح منهم . واذا نظرنا اليهم أي الكهلانيين من ولد سبا وبن من كان منهم بسكن مأرب والجوف في الجيل الاول للمسيح أو في بدأ الجيل الثاني رأيناهم أيضا عربا يتكلمون بهذا اللسان العربي . ويانه ان الأزد من ولد كهلان وكانوا في مأرب

(١) وفي الصحاح مذحج مثال مسجدة أبو قبيلة من العرب وهو مذحج بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (٢) فن أراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومأرب فخرجه  
العرب . همداني وجه ٨٤

فلما اشتدت عليهم وطأة الحميرين ملوك ظفار على الارحج ارتحلوا من ديارهم  
جماعات كثيرة فمنهم من وصل العراق ومنهم من وصل الشام ومنهم من وقف بنجران  
ومنهم بمكة ومنهم يثرب ومنهم وهم الطائيون ( وكانوا يسكنون الجوف ) رحلوا  
أولاً الى فيدوسيرا ثم احتلوا الجليلين اجا وسلمى وكل هؤلاء كانوا عرباً ومن  
النصفاه الذين ترضى فصاحتهم في العربية لم يسمع ولم يعرف اصلاً عن ملوك الحميرة  
من المناذرة ولا عن ملوك الشام من النمامنة ولا عن الاوس والخزرج من أهل  
المدينة ولا عن الطائيين في جليلهم ( وهؤلاء هم الذين ارتحلوا من ارض سبا قبل سيطر  
العرم او بعده قليل ) انهم تكلموا غير هذا اللسان العربي المضرى . ولو كانت لغتهم  
الحميرية « اوالسبئية » لاستحال ان تفرض فلا يبقى لها أثر في مدى اربعة قرون كما لم  
تفرض الحميرية من ظفار ولا من بلاد عمناء في مدى اربعة قرون مع انهم كانوا في  
ملكه المضرين ودولتهم الغالبة القاهرة بيزهاوعن الاسلام وقد اسلم القوم عن آخرهم  
منذ بدء الاسلام

﴿ ماذا نصدق اذا ﴾

« التاريخ والمثل ام الآثار التي وجدها القوم مؤخراً »

« في مأرب والجوف ونجران »

الجواب . اولى بنا ان نصدق التاريخ والمثل من غير ان نخرج في صدق الآثار  
وذلك بأن نقول ان دلالة الآثار منطوط في تأويلها وبمكنتنا ان تؤولها بما يوافق  
التاريخ والمثل — ويانه ان الآثار التي اكتشفها القوم ( العلامة ادورد غلازر  
ويوسف هاليني ويوليوس اوتين وتومس ارنو وآخرون ) على ما نقله الملامقزيديان  
في كتابه النفيس ( العرب قبل الاسلام ) هي آثار واقعية لانشك بها . ولا يشك  
ايضا أنها من آثار الدولة الحميرية الظفارية التي استوت على بلاد سبا في الجيل  
الاول قبل المسيح . نسلم بكل ذلك . ولكننا نقول ان هذه الدولة كان حكمها  
في بلاد سبا حكم دولة الأتراك الاخيرة في اليمن فاننا لانعدم آثارا وهوشا كثيرة في  
صنعاء وغيرها من مدن اليمن مكتوبة باللغة التركية وكما لا يصدق الاستدلال بمثل  
هذه الآثار على أن لغة اليمن هي اللغة التركية كذلك لا يصدق الاستدلال بها

اقدرد الذي وجدته القوم من النقوش على ان لغة بلاد سبا أغني بلاد مأرب والجزوف كانت لغة حيرية . وهذا التلويح بري منه العارف المتدبر ما يضيئي عن الحالة الشرح والاسباب فان مقالتي والفرض منها لا يخللان من اطالة الشرح فوق ما أطلته . ولكنني ارجح ان المستقبل سيكشف لنا آثارا غير التي اكتشفت لحد الآن وتكون دلائها وفقا لما نظنه وفوق كل ذي علم عليم

﴿ في سبب غنى اللغة العربية واتساع دائرة الفاظها وعباراتها ﴾

( واقتدارها على التصيرات الفلسفية والاجتماعية وما الى ذلك )

« بما فالت به سائر لغواتها ولا تقل فيه عن اعظم واشهر لغات العالم سواما »

ان العلامة نولدكي يُعجب باتساع قاموس هذه اللغة الثرية ويذهب الى ان ذلك مقتبس عن الارامية بما كان لاهلها من مخالطتهم الاراميين بالتجارة والجزوف . والذي حمل العلامة الموما اليه على هذا التعليل هو على الراجح ما كان يظنه ان اللغة العربية هي لغة القبائل البدائية في الحجاز ومجد فاستبعد من ثم ان يكون لمثل هؤلاء القوم الذين غلبت عليهم البداوة مثل هذه اللغة الواسعة . اما وقد تبين لنا ان هذه اللغة كانت لغة الدولة المادية دولة غلبت على البلاد العربية كلها وامتدت سلطتها الى الشام ومصر وافريقيا ودامت سيدة التجارة على ما نظن ما يزيد على الف وخمسة سنة اولاً تحت اسم الدولة المادية وعلى نحو من ثمانمئة سنة تحت اسم الدولة السبئية ( ۱ ) فلا داع لمثل تعليل العلامة نولدكي . وما زال العاديون ومن خلفهم باسم السبئيين ارباب تجارة وزراعة حتى بعد ان غلب عليهم الفخاريون

( ۱ ) اذا كان يعتمد على اشارات اللغة البعيدة فالرجح ان اسم سبا جبل لقباً لهذه الامة التجارة لان معنى « سبا » تاجر او تجارة وان الحبشة ومن جاورهم من البلدان لقبوم بهذا اللقب وفقاً لما عرفوه عنهم . فان هذا الاصل اي « سبا » يزيد في اللغة الحبشية معنى التجارة على ما سمعت ولا يزال مألوفاً بهذا الاستعمال اما في لغتنا العربية فقد خرج عن هذا المألوف وبقي فيه ما يدل على سابق استعماله في قولهم سبا الحمر وسياها . وفي السباء بمعنى يام الحمر وفي السبأة بمعنى السفر السعيد الذي كانت تقتضيه تجارة العادين . وفي السبأ والسبأ بمعنى الموه بحمله السيل من بلد الى بلد . وشاع هذا الاستعمال حتى اطلق على بلادهم الاصطبة فخرت به أخيراً عند الحبشة والتجيطانيين من اهل اليمن

بمئات من السنين وسدهم شاهد يؤيد ما ذكرنا . ان الامة التي بنت مثل سد مأرب وقصر غمدان وغير هذين من السدود والقصور والمصانع ووصلت من الغنى الى الدرجة التي ضربت بها الامثال لا يستبعد ان تكون لغتها في الغنى والاتساع كاللغة العربية .

والمرجح عندي انه لم يقم في سوريا ومصر والمراق دولة اعظم غنى وتجارة من الدولة العادية في عمان وحضرموت واليمن . ولم يقتصر الماديون على التجارة والتجارة لوحدها من اكبر الاسباب لارتقاء لغة الامة واتساع دائرة الفاظها وتراكيبها - بل كان لهم في الزراعة شأن لم يبلغ البابليون ما هو اعظم منه على خصب بلادهم وان فيها النهرين العظيمين الفرات والدجلة فانهم بنوا سد مأرب وثمانين سدا غيره في محضب العلو

وبالرؤية الخضراء من ارض محضب ثمانون سدا نقلس الماء سائلا (١) وسد مأرب هو احدى اعاجيب الدنيا وكان لهم عن يمينه وشماله الجتان اللتان مازال صدى ذكرها يتردد في اودية التاريخ مئات سنين بعد خرابهما . ولعلني لا اكون مبالغا اذا قلت ان نسبة سد اصوان على ضخامته في عصرنا الحاضر الى سد مأرب هي كنسبة الصبي الصغير الى الرجل الكبير . واما قصورهم وهياكلهم التي بنوها فبنوها قصر غمدان . وقد بقي هذا القصر والهيكلي قائما الى خلافة عثمان ابن عفان وكان من الفخامة والضخامة على ما يضارع اعظم القصور البابلية . واليكم ماجاء في وصفه نقلا عن ياقوت الحموي

قال مانصه - فقال « ليشرح » ابنا القصر في هذا المكان فبني هناك على اربعة اوجه وجه ابيض ووجه احمر ووجه اصفر ووجه اخضر . وبنى في داخله قصرا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعا . وكان ظله اذا طلعت الشمس يرى على عيان (٢) وبينهما ثلاثة اميال . وجعل في اعلاه مجلسا بناه بالرخام وجعل سقفه رخامة واحدة وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم ما يكون من الاسود . فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل

(١) همداني وجه ١٠١ (٢) ارجح عثمان على ما في وصف جزيرة العرب

دخلت من مؤخره وخرجت من فيه فيسمع له زئير كثير السباع . وكان يأمر بالمصايح  
تسرج في ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلعب من ظاهره كما يلعب البرق  
فاذا اشرف عليه الانسان من بعض الطرق ظنه برقا او مطرا ولا يعلم ان ذلك  
ضوء المصايح . اه

وقد نقل ياقوت هذا الوصف عن هشام بن محمد بن السائب الكلابي ولا يبعد  
ان يكون هشام هذا قد أخذ ما نقل عنه من الوصف عن شاهدوا القصر قبل ان  
ان هدم بأمر الخليفة عثمان . ويوافق هذا الوصف المشور ما جاء منظوما عن ذي  
جدن الهمداني قال

دعيني لأبالك لن تطيقي	لحاك الله قد انزفت ربيقي
وهذا المال ينفد كل يوم	تنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذي حدثت عنه	بناه مشيدا في راس نيق
بمرمة واعلاه رخام	نحائم لا ينيب بالشقوق
مصايح السليط يلحن فيه	اذا يمسى كتوماض البروق
فأضحى بمدجده رمادا	وغير حسنه هب الحريق

والظاهر مما قاله هذا الشاعر في بيته الأخير أن آثار هذا القصر كانت ظاهرة في  
ايامه وكان يظهر عليها اثر النار لانهم استخدموها في هدمه على ما يرجح

وقد ذكر الهمداني عدة محافد وقصور في كتابه وصف جزيرة العرب واليك  
ما قال ... ونذكر الآن المشهور منها ذكر امر سلا فاولها واقدما غمدان ثم تلغم . وناعط .  
وصرواح . وصالحين بمارب . وظفار وهكر . وضمير . وشبام . وغمان . وبينون وريام  
وبراقش . وممين . وروثان . وارياب . وهندوهنيمة . وعمران والنجير بحضرموت

اه وجه ٢٠٣

والارجح عندي ان معظم هذه الآثار كان في ايام الدولة العادية والسبئية  
الاولى دون الحميرية فان هذه كانت دولة ظلم وبغي اكثر مما كانت دولة تجارة  
وزراعة او دولة عدل وأمن . فان في زمانها خرب السد المشهور وأقهرت الجنتان  
في ارض سبا وفي ايامها كانت ملوك حمير تسطو على الاعراض وتمحرق المخالفين

في الدين وتذل الكيلانيين والمدنانيين وتسوهم كل نوع من الخسف فاضطروا الى مهاجرة اوطانهم مرة الى الاستجداد بالحبشة مرة اخرى وما زال سوء الحال والتدبير وشدة الظلم مراقبا هذه الدولة حتى انقرضت ولم تطل ايامها كثيرا . ولعل الاحباش كانوا خيرا منها للبلاد . فاتي ان اذكر ان هذه الدولة اعني العادية اولا والسبئية ثانيا اعنت بالتعدين كما اعنت بالتجارة والزراعة والصناعة ولا تزال آثار عشرات من معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والحجارة الكريمة في اليمن ونجد والحجاز وعلى جانب افريقيا المقابل شاهدة على ما كان لهذه الدولة والامة من الاقدار والهبة والنشاط . وارجح ان المستقبل سيرينا من آثارهم التي لا تزال تحت الردم والرمال ما يزيد عن آثار اخوانهم الكنعانيين والفينيقيين

قلت واحيد القول ان امة كهذه الامة وشعبا كهذا الشعب الذي من بقاياهم العرب المدنانية في نجد والحجاز والكيلانية في ارض سبا وحضرموت وعمان حري بان يكون له لغة كاللغة العربية سيدة اللغات السامية . ولعلها سيدة اللغات القديمة كلها فقد ماتت تلك وبقيت هذه وصتبي بعد اجيالا لا يعلها الا الله مها عورضت واضطهدت او صودرت واتهمت

• ارى ابي استوفيت كل ما في وسعكم من الاصفاء فلا يليق بي من ثم ان احملكم فوق ما حاتم فدعوني اختم بذكر خلاصة ما اراني وصلت اليه بالمسلك التاريخي الذي سلكته في شأن الارومة السامية ونسبة اللغات المعروفة منها بعضها الى بعض فاقول ( ١ ) ان اللغة السامية كان مهدها في البلاد العربية والارجح ان قرارتها كانت بلاد اليمن وما اليها من السروات ( ٢ ) انشعب منها فرع الى بلاد بابل وبقي فرع في قرارته الاولى وهم القحطانية الاولى . ثم الفرع الذي اتجه شمالا الى العراق انشعب منه شعبتان شعبة تسكن المدن واخرى تسكن البدو . ( ٣ ) ما زال هذان الفرعان متجاورين الى ايام دولة النادرة ( ٤ ) فضيقت هذه الدولة

( ٤ ) النادرة ملوك كوشيون من كوش او خوز وهي بلاد خوزستان الآن وكانت لقبهم الارامية كما يظهر فان نمرود او نمرودو مصفر نمر في اللغة الارامية وارجح انهم جاءوا من بلاد =

عليها واضطرت كثيرين منهم الى الجلاء عن البلاد فجاء اهل بابل العظيمة وغيرها من مدن العراق الى ارض الجزيرة وعمرها راسن وكالح وبنوى وغيرها من المدن الاشورية وجاء كثير من آخرون معظمهم من اهل البدو الى جزيرة العرب موطن اسلافهم الاقدمين ونزلوا الحجاز ونجد وارض سبا وعمان . وكانت لغتهم قد استقلت وتمايزت عن القحطانية التي فارقت اجدادهم الاولون في اليمن ثم ما لبثوا ان استولوا على ملك القحطانيين وضيقتوا عليهم في يمنهم كما كان الهاردة قد ضيقوا عليهم في جوار بابل فهاجر جماعة كبيرة منهم الى الحبشة وكان هاجر قبلها او اثناءها جماعة اخرى الى الامهرة والشطوط المقابلة من أفريقيا فكان منهم هناك الامهرية والحبشية . ثم هاجرت جوار اخرى من الهائلة والهاديين الى الشام وشطوط المتوسط اما راسا من العراق هربا من الهاردة او من البلاد العربية بتمدد التجارة والاستعمار . والارجح ان كان الامران معا . ومن هولاء المهاجرين كان العبرانيون وامم الشام من الكنعانيين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية الفينيقية والعربية شعبتين من الفرع العادي والجزيرية والحبشية من الفرع القحطاني

هذا ما تدل عليه التقاليد وما وصلنا اليه من شذرات التواريخ واظن ان الابحاث الفيلولوجية لا تنافيه ان لم تطأ به . ومرفقي القليلة بالعبرانية والسريانية تسوغ لي بعض التسويغ ان اقول ان العبرانية اقرب الى العربية مما هي الى السريانية . ولو لم يكن بينهما من المقاربة الا ان في كليهما اداة لتعريف « ها » في العبرانية و « آ » في العربية فوقف عند العرب مع الحروف القمرية على اللام بدلا من المد وادغم اي حرف المد بالحروف الشمسية — لكنني ذلك شبا في ان يجعل اللغتين صنوين من فرع واحد . وكذلك اقول ان الارامية ويبدل فيها على التعريف بالوقوف على الالف ( اي حرف المد ) يبني ان تكون صنوا لتلك التي يدل فيها على التعريف بالوقوف على حرف الهمزة اي « التون او الهميم » فان

العرب من اليمن عن طريق البحرين عبروا الخليج الفارسي من هناك ثم لما قويت شوكتهم غزوا بابل وطردها من كان سبقتهم الى هناك فذهب بعضهم شمالا الى بلاد اشور وذهب آخرون جنوبا الى الحجاز ونجد والاحقاف وهي بلاد سبا كما صرت بنا الاشارة الى ذلك

هذين الحرفين اعني حرف المد وحرف الفنة يبدل احدهما بالآخر . وفي العربية ما يبدل عليه ويسمى تنوين الفنة ومعناه الوقوف على حرف الفنة بدلا من الوقوف على حرف العلة . واظن ان الحميرية ( وهي التي سموها السبئية ) هي التي رأوها وفيها هذا الضرب من الدلالة على التعريف اعني الوقوف على حرف الفنة ( اي النون ) فالأولى من ثم ان تقرر بالسريانية وتجمل صنوا لها

لكن هنالك من المشابهة بين العربية والعبرانية في الاضافة ما يؤيد المشابهة الحاصلة من حرف التعريف ويدعمها فان طريقة الاضافة في هاتين اللغتين اعني العربية والعبرانية واحدة . وكذلك هي في السريانية والحميرية ( او التي سموها السبئية ) قريبة الشبه جدا ان لم تكن واحدة .

ومما يزيد المشابهة بين العربية والعبرانية طريق استعمال الفعل فان الماضي والمضارع يوضع احدهما موضع الآخر كثيرا في كليهما كما يظهر ذلك لمن تأمل وهو عارف باللغتين . ويقل اعتمادهما على الصفة واقامتها مقام الفعل كما هو الشائع او الكثير في السريانية . ومن التهجم ان اقول ان السريانية في هذا تشابه الحميرية نظرا ثقل ما وقفت عليه من هذه اللغة ولكني اوجه انظار الباحثين الى هذا الامر

وهناك مشابهات اخرى بين العربية والعبرانية في الضمائر وحروف المضارعة مما لو جمعت كلهما معا لرجح بها جانب الكفة من الوجهة الفيلولوجية كما رجح من الوجهة التاريخية اي ان العربية والعبرانية صنوان من جذم واحد ان كنت وصلت في طريقة بحثي هذا الى الحقيقة او ما يقاربها او الى ما يبدل على الوجهة التي هي فيها محسبي ذلك . والا فيكفيني أني نبهت الى اهمية مقارنة البحث التاريخي بالبحث الفيلولوجي ولعل الحقيقة اقرب ان تكون في الجانب الذي يتفقان فيه أو على الأقل في الجانب الذي لا يعارض فيه احدهما الآخر او ينافيه . واسمحوا لي ان اختم بتقديم مزيد شكرياتي لرئيسنا الفاضل الدكتور هورد بلس الذي دعاني الى درس هذا الموضوع اولا ولكم على ما اوليتوني من المجاملة وحسن الاضفاء ثانيا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اه